خمسة مليمات

« نفقة عيلة في اليوم »

رأينا في احدى الجرائد الانكليزية من مدة اقتراحاً على قرائها تطلب فيه كتابة فصل عن عيلة ذات بنين وبنات يمكنها ان تعيش في العام كله بمبلغ خمسين جنيهاً عيشة لا ينقصها شيء من ضرورات الحياة الكفيلة بحفظ الصحة وعرضت جائزة لذلك مبلغ الخمسين جنيهاً التي ذكرتها وقد نال الجائزة من توصل الى تدبير تلك العيلة بتلك الخمسين جنيهاً مع ان القدر ليس بقليل وكثيرون يتمنون الحصول عليه في بلادنا فيعيشون على شيء من السعة والرغد ولكن تلك الجريدة لو علمت بعيلة او بعيلات تعيش بغرش واحد في اليوم بقطرنا لرأت انها اقترحت امراً سهل الحل قريب المنال مهما كانت البلاد الانكليزية غالية بالقياس الى بلادنا

فقد ذكر لنا احد الادباء انه مر بوطني خارج من باب داره ووراءه امرأته تطلب منه نفقة يومها وهي تحمل ابناً لها وحولها بنون فقتح الرجل كيسه ونظر فيه نظراً دقيقاً ثم ناولها غرشاً صغيراً فاخذت تلتمس منه غرشاً آخر وتدعي انه لمطالب غير عادية فلم يكن يقنع وتركها وانصرف مطمئناً بانه اعطاها ما يجب للضرورة كعادته كل يوم ولم يكن هذا الرجل بفقير الى حد لا تسمح به حاله بغير ذلك الغرش بل كان صاحب مركبة نقل يستطيع ان يربح كل يوم نصف ريال على الاقل اي عشرين ضعفاً لما اعطى امرأته

ونحن لا نتخذ هذه الحالة كبرهان على ان هذا القدر اليسير هو كل نفقة الرجل فهو ينفق ولا شك على ملابس اولاده واجرة منزله ولكننا نتخذها كدليل على شدة التقتير عند عامتنا على عيالهم واعتبارهم امر معيشتها من الامور الثانوية وبهذا نعتقد ان المبدأ العائلي او اجتماع الاسرة معدوم تقريباً من طبقات شعبنا الوسطى والسفلى وان جماهير والوفاً عديدة تعيش عائلاتهم في بلادنا على هذا القياس من الشح الشديد الذي لا يطاق لان كل عامتنا بل الشعب المصري كله تقريباً يحسب ذا نفقتين منفصلة احداهما عن الاخرى كل الانفصال اولاهما النفقة المنزلية وهي لا تعدو الغرش والغرشين عند من يربح نصف ريال ونصف ريال عند من يربح ريالين واكثر وثانيتهما النفقة الخارجية كنفقة الحانة والقهوة والمحششة وامثالها مما يستهلك كل ذلك الربح ومن اجل هذا نجد معيشة العائلات المتوسطة والسفلى قاصرة في بلادنا على ما رخص جداً من الطعام ووقى بعض الوقاية من الملابس التي لا تجدد الا حين تمام البلى والإخلاق وبذلك كانت بلادنا المصرية من غرائب بلاد الدنيا في كيفية معيشتها حتى صار يضرب بها المثل فيقال كل من خبثت بضاعته او تولاها الكساد في بلادٍ فليرسلها الى القطر المصري تنفق كل النفاق وهذا القول حق لاننا نجد اطعمة العامة عندنا من فواكه وخضر ومصنوعات كلها مما يعافه سائر الناس المتمدنين ولم يكن ذلك لان العامة لاذوق لها ولا تمييز عندها بين الخبيث والطيب وانما هي تضطر لذلك اضطراراً بحكم الرخص اذ كيف تستطيع عيلة ان تعيش يومها بقرش او قرشين الا اذا اشترت الفاسد المضر بل ان بلاداً تباع فيها اقة السمك بعشرين بارة واقة المشمش بعشر بارات كما ذكرت ذلك احدى جرائدنا اليومية عن ثقة لحقيقة بان يصدق

عنها ان فيها عيلات تنفق الغرش والغرشين في يومها اذ تشتري نصف اقة من السمك واقة من المشمش وشيئاً من الخبز الرخيص فتعيش كي لا تموت (او تموت) ثم يذهب رب هذه العيلة بسائر ما كسبه فينفقه بسخاء في مواضع اللهو والطرب ولا حرج عليه لانه هكذا عود عيلته حتى صار يعد من الاسراف لو زاد على نفقتها ويعد من التقتير لو قلل من نفقته

ولا يحسب القارىء المصري ان هذا القول مبالغ فيه بل هو قد يحسبه كذلك لانه اعتاد ان يراه في بلاده فلم يعد عنده بالشيء الغريب ولكن لو جاء الى هذه البلاد زائر اجنبي فانه يدرك لاول وهلة هذا الشأن الذي نشير اليه حتى يكاد يحسب ان البلاد في اشد حالات الفاقة والاضطرار مع انها ليست في هذا الحد وانما هو معذور اذا توهم لانه لو جاء الى الاسكندرية مثلاً فانه يشاهد اكثر عامتها لا تلبس غير الجلاليب وقل منهم من يلبس طربوشاً بل يكتفي بلبدة او عمامة يعصب بها رأسه الحاسر فلا يفارقها حتى تفنى هي او يفنى هو واما لبس الاحذية فكأنه من المحرمات عندنا ولذلك نعد الحفاة بعشرات الالوف بل يصح للمؤرخ ان يصف مصر في هذا العهد ببلاد الحفا لكثرة شيوعه فيها بين جل العامة نساء ورجالاً وليس ذلك عن فقر حقيقي كما اشرنا وانما هو عن عادة قبيحة الفوها حتى صاروا يعدون تركها حراماً واذا شئت الدليل على ما نقول فانظر الى الحفاة والحاسرين تجد اكثرهم منتشرين في الليل بالحانات ومواضع القصف واللهو ينفق الواحد منهم في ساعته ما يشتري به حذاء لسنته حتى ضعفت بذلك هممهم وذلت نفوسهم فصار الحافي لا يأنف ان يكون حاسراً ولا الحاسر ان يكون خلق الجلباب وفشا ذلك في الاسرة كلها متنقلاً موروثاً صاغراً عن صاغر وان

بلاداً تكون هذه حال العامة فيها وهم ثلاثة ارباع البلاد لجديرة بان يحتقر شأنها الاجنبي ويعتقد في اهلها الذل والخمول فيسومهم الخسف ويحتال على وجوب امتلاكهم بما يستطيع

ولو حقق القارىء لوجد ان احتقار شأن المصري قد تناول البلاد كلها وخاط من اهلها البرىء بالسقيم بل صار المصريون انفسهم يزدري بعضهم بعضاً ويظن الواحد منهم في اخيه الذل والصغار فيستعبد القوي الضعيف ويعطيه اقل مما يستحق بكثير حتى لقد وصل ذلك الى الحكومة فجرت عليه ولهذا نجد الموظفين الوطنيين في مصالحنا اقل رواتب واجوراً من الموظفين الاجانب مع ان في الوطنيين من هم اكثر ذكاء وعلماً من الاجانب واوفر جهداً وتعباً في الخدمة وانما كان ذلك من اعتقاد حكامنا «وهم مصريون» ان الوطني قليل النفقة في منزله فهو لا يعلم اولاده بمدارس ولا ينفق الانفاق الواجب على حفظ صحته وصحة اولاده ولا يلبس امرأته وبناته اللباس الصائن اللائق فلذلك يجب ان لا يعطى الا قدر منزلته من حيث الانفاق وقدر رتبته من جهة النبل ومبلغ علو النفس بل هي قد صارت تمتنع عن ايفائهم حقوقهم الواجبة ومساواتهم بالاجانب اعتقاداً منها بان هذا الراتب مهما زاد فلا يمكن ان يزيد به مبلغ النفقة العائلية لانه صار عندهم من الشروط المقدسة كشروط ضرائب الاطيان بل الذي يزيد هو النفقة في سبيل الباطل والاكثار من شرب الخمور وارتياد مواطن اللهو والخلاعة واما الاجنبي او الوطني العاقل فيزاد راتبه ويعطى احياناً اكثر من استحقاقه وذلك ليس عن اشفاق عليه او ظلم لغيره وانما هو لعلم الحكومة بانه مضطر لتعليم اولاده والانفاق عليهم معتاد لحسن المعيشة وحفظ الصحة التي هي قوام الشعوب والممالك ملزم باعطاء

نفسه حق مطلبها من العلو والانفة والاحسان والمساعدة وامثال هذه الحسنات النفسية التي تقوم بها المدنية ولا يصح الاستغناء عنها بل ان الحكومة تعلم انها اذا زادت مرتب موظف يحسن تدبير نفسه وتقدير الانفاق الواجب على عيلته فانها تشتري بتلك الزيادة ادباً اكيداً ومدنية حقيقية وليست الحكومة بالمنفردة في هذا الرأي بل كل مصالح الشعب الخاصة تسري على هذا المبدأ في معاملة الاجنبي الوطني وفي معاملة الوطني لنفس الوطني وكل هذا الفرق العظيم كان من فساد التربية النفسية والجسدية في بلادنا الى حد غريب

ونحن نقول هذا القول ولا نملك معه الا الاسف والحزن لهذه الحالة لاننا لا نجد باباً لاصلاحها اذ هي ليست من الشؤون التي تستطيع الحكومة منعها مباشرة كالصحة والحفظ العمومي واشباهه وانما هي حالة يطلب اصلاحها من نفس عامتنا وبارادتهم وذلك لا نستطيعه الان بان ترسل الحكومة رجالها الى منازل الناس توصيهم بالانفاق اللازم واكل الغذاء الكافي او تمنع العامة عن انفاق اموالهم على الباطل لانفاقها على عيلاتهم وبنيهم او تأمر الحافي بان ينتعل والحاسر بان يتعمم ولكن كل ما يستطاع بل كل ما ينبغي هو نشر العلم والتهذيب في نفوسهم واطلاق المدارس الكثيرة بينهم فان اصلاح النفس والجسد موقوف على علو الهمة وارتفاع النفس وذلك لا يكون الا بالعلم صديق الانفة وعدو الضيم والرضى بالقليل ثم نحن لا نطمع بان نرى ذلك في عهدنا الحاضر فان نسق التدريج لا يحتمله ولكننا نعتقد انه اذا انتشرت المدارس وكثر المتعلمون فان اولادنا يرون عامة مصر قد بلغت درجة رفيعة من مدنية الاخلاق والعادات وعندنا من القياس اجل دليل على ذلك

بين الماضي والحاضر فليترك محبو مصر واصلاحها كل وسائلهم الكمالية التي قد تضر ولا تفيد او تفيد خاصة اهل مصر وهم قلما يغنون لدى مجموع البلاد ثم لينظروا في هذه الجيوش الجرارة من العامة ويتعمدوا تهذيبها حتى تكون العيلة عندنا سائرة على مبدا العيلات الحقيقي والا فما دام العامي الذي يكسب نحو نصف ريال في يومه ولا ينفق على اولاده وامرأته الا جزءاً من عشرين منه ومادامت عيلات كثيرة تعيش في بلادنا بريالين كل شهر وارباحها يكسبون الالوف وينفقونها على اسباب اللهو والسفاه فبعيد علينا ان نكون شعباً تاماً في الصحة والعلم والجاه

الادب

« في بلاد العرب »

كل شيء اسمه ادبُ تعب ما بعده تعبُ
في زمان جدُّه لعب في بلادٍ اهلها عرب
فاهجر الاقلام مطرحاً كل ما قالوا وما كتبوا
هي في ايامها قضب وهي في ايامنا قصب
ما تصر الان عن طرب انها تبكي وتنتحب
حبرها ما ذاب من مقل بمياه النفس تنسكب
خلنا والجهل ان به قد تفرغنا لما يجب